مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان لاح على قلبه
غلبة ازال منه الغضب على الوسايط والرضا منهم والشكر لهم ونزل الوسايط في قلبه منزلة
القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين
وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته
ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات
بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه
التوكل والرضى والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب
اليقين، ومن ذلك الثقة بضمان الله الرزق في قوله تعالى: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في
الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات
والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز
الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك وكما يحرص على تحصيل الخبز
طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب
قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد
لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين المراقبة في الحركات و
السكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان
الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك باب اليقين ان الله مطلع عليك في كل حال ومشاهد الجنس
ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما
بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز مختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته
متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا
محترزا عن كل حركة يخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة
اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره
وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظواهره لسائر الناس فهذا المقام في اليقين يورث الحيا
والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث
انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل هذه الشجرة وهذه الاخلاق في القلب
كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار
المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري وابواب اكثر مما عددناه و
سياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الان ومنها ان يكون
حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه

ونطقه وسكوته

ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله
فالجواد عينه قراره فعلماء الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذل والتواضع وقد قيل ما
البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة وهي لبسة الانبياء وسيما الصديقين و
العلماء واما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل
ذلك من اثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا
الغافلين عن الله تعالى دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلثة كما قال سهل بن عبد الله التستري
عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية
والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوبته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها
على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر
رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع
لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما اتى الله
عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من
اتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما
يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم
في الدنيا وعقولهم في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق
ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة فليتقرب الى الله ببغضها فانه مقيت في السماء
والارض وروى في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة
حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني من ذلك
في شيء وان لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل
وتواضع في نفسه فاوحى الله الى نبيهم قل له الان وافقت رضائي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه
كان يقول ينظر احدكم الى الشرط فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين
الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب
خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب
ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا
بخيارنا يا رسول الله نجالسهم قال الذين اذا رءوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا
قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم
فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا في
الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي بما اقول رهينة وانا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)